



خطوات بريطانية فوق الرمال العربية

همفر : أوفدني وزارة المستعمرات عام ١٧١٠م إلى كل من مصر والعراق والطران والحجاز والأسانة لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين

تاريخ رجال السياسة البريطانية ومهامهم في بلاد العرب لا يقل من حيث الضرورة الموضوعية في معرفة المشروع البريطاني في الشرق الأوسط ، عن المراكز والنقاط التي عملت على تنفيذ هذا الفعل من داخل تركيبة المجتمع العربي . وهذا التاريخ له من المعلومات والوثائق والدراسات ما يجعله جزءاً من مراحل التدخل الغربي في قضايا الشرق العربي ، وإدراك القدرة السياسية البريطانية في صناعة القرار وإلغاء فترات من تاريخ المنطقة وإعادة تشكيل المصائر وأحداثها .

من تلك الشخصيات البريطانية التي لعبت أدوار عدة في الجزيرة العربية نقف أمام بعضها لمعرفة هذا الجانب من تاريخ بريطانيا في الجزيرة العربية .

نجمي عبدالمجيد

هذا التاريخ له من المعلومات والوثائق والدراسات ما يجعله جزءاً من مراحل التدخل الغربي في قضايا الشرق العربي



إنهم يحاربون ليقضوا على إمبراطورية لا يريحوها ، والوحدة الوحيدة الممكنة هي تلك التي يرغمون عليها بالنفوذ أو السيطرة الأجنبية . مالم نحم نحن أو حلفائنا ، بصنع إمبراطورية عربية فعالة فلن يكون هناك سوى مجموعة غير متناسقة من الإدارات المحلية .

إن الإذعان باي حق أجنبي على هذا الوجه لتنظيم أمورهم هو أمر يرفضه العرب بشدة . يسعدنا أن نكون أصدقائكم ، وأنتا شاكرون جداً لما اعطيتونا إياه ، لكن نرجوكم أن تتذكروا أننا لسنا رعايا بريطانيين ،إننا نشعر بارتياح أكثر إذا لم نكونوا حلفاء بدرجة أكثر من اللازم .

أراد فيصل أن يعني أن حساسية رجال العشائر العربية الأخرى لأي اقتراح من جانبنا في الشؤون الداخلية يعود لا إلى إنزعاج عقلائي بل إلى الشعور بالضعف المادي والجسدي . إن مزاج حكومتهم سيكون لها مايشابه القعد نوعاً ما حتى نتق على قدميها .

بصفتي المفترضة سكوري أشرت إشارة عاطفية إلى إعدامات جمال باشا للزعامة العرب في دمشق . والشرفاء وأولئك الذين هم على علم بالتاريخ الحقيقي استفضعوا هذا العمل . وقال الآخرون : لكن جمال باشا نشر وثائق تدل على أن هؤلاء الرجال باعوا وطنهم إلى الفرنسيين والإنجليز لو لم يعد مهم لكان واجبنا بصفتنا عرباً أن نعمل عمله هذا .

بيد أن الشعور ينمو بشدة نحو الشمال وجهينة أقل تحسباً من البلي . واعتقد أن البلي يقفون بعيداً عن الشريف ، لأنهم يحبون التركي ، بل لأنهم يخشون أن الشريف معناه البريطانيون . أما التعصب الديني فقد وجدت له أثراً قليلاً فقط .

فقد رفض الشريف بشدة أسباب صفة دينية على ثورته . تعلم العشائر أن الأتراك مسلمون وتعتقد أن الألمان هم على مايحتمل أصدقاء الإسلام الحقيقيين وهي تعلم أننا مسيحيون ، وأنتا أصدقائهم . وفي هذه الظروف لن يكون دينها ذا فائدة كبيرة لها ، وقد وضعته جانباً . المسيحي بحارب المسيحي ، فلماذا يعمل المسلم الشيء نفسه ؟ إن مانريده هو حكومة تتكلم العربية وتتركتنا نعيش بسلام فضلاً عن ذلك إننا نكره هؤلاء الأتراك .

مذكرات مستر همفر الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية

تعد مذكرات ضابط المخابرات البريطانية المسترهمفر ومن المصادر الهامة في معرفة الدور السياسي البريطاني في بلاد العرب . وبالرغم توسع نفوذ الإمبراطورية البريطانية في ذلك الزمان على العديد من دول العالم وحفاظاً على هذا الاتساع في المستعمرات كان من اللازم على الإنجليز العمل وفق هذه الرؤية :

- ١- إبقاء السيطرة على ماتم أبنائه كما يحدد همفر .. فإن الرجل المسلم يلقي قياده إلى الإسلام بكل صلاحة .
- ٢- إن الإسلام كان ذات يوم دين حياة وسيطرة ومن الصعب عليك أن تقول للسادة أنتم عبيد ، فإن نخوة السيادة تدفع بالإنسان إلى التعالي مهما كان في ضعف وإنحطاط .
- يقول همفر : أوفدني وزارة المستعمرات عام ١٧١٠م إلى كل من مصر والعراق وطران والحجاز والأسانة لأجمع المعلومات الكافية التي تعزز سبل تمزيقنا للمسلمين ونشر السيطرة على بلاد الإسلام وبعث في الوقت نفسه تسعة آخرين من خيرة الموظفين لدى الوزارة من تكتمل فيهم الحيوية والنشاط والتحمس للسيطرة الحكومية إلى سائر الأجزاء للإمبراطورية وسائر بلاد المسلمين وقد زودتنا الوزارة بالمال الكافي ، والمعلومات اللازمة والخرائط الممكنة واسماء الحكام

من وثائق لورانس العرب

(مذكرة)

كتبتها الكرتل تي . تي . لورنس عن

القومية لدى رجال العشائر (النشرة العربية ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٦م)

تقدم هذه الوثيقة وجهة نظر السياسة البريطانية في الجزيرة العربية ، وكيف كانت الرؤية لوضع التكوين العشائري والقبلي ، ومن خلالها نتعرف على أهمية دور رجال العمل السياسي والعسكري البريطاني في عملية إعادة قراءة القضايا والأحداث في بلاد العرب .

المذكرة

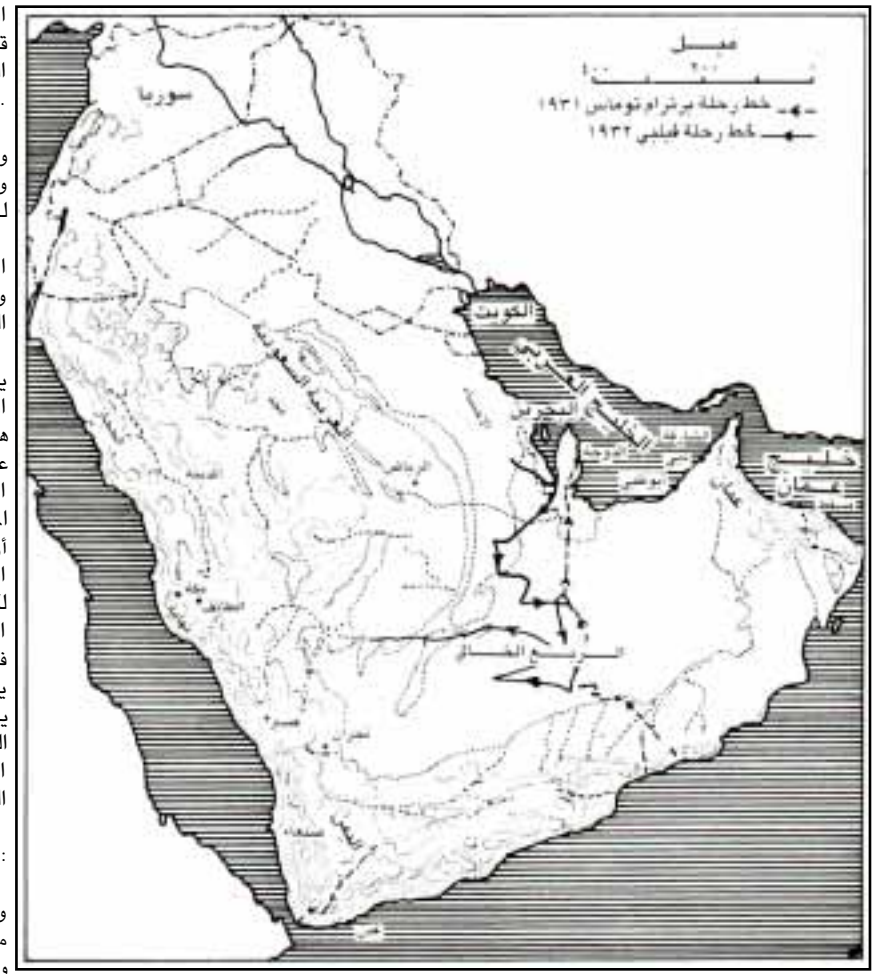
(بدا لي الرأي العشائري في الحجاز قوماً شديداً وأكثر تعقيداً مما يدل عليه مظهر رجال العشائر . هذه الأفكار لم يكن الحصول عليها من الطبقة المثقفة في المدن ، لأن جده ومكة ليستا عربييتين في تشكيلهما ، بل هما مجموعة من الجاويين والسودانيين والهنود والأتراك والبخاريين ولا تعاطف لهما مع المثل العربية ، وهما يعانيان شيئاً ما من قوة الشعور العربي ، الذي تحصر من الضعف التركي في وقت متأخر أكثر من اللازم ، بحيث يصبح مسيطراً عليه تماماً . ولدى محاولتي التوصل إلى سبب هذا النمو المائج في الشعور القومي قبل لي أن الدعاية الألمانية كانت عاملاً مساعداً مهما دعا الألمان إلى الجهاد خلال الأشهر القليلة الأولى من

رجال ومهام في بلاد العرب

الكاتب وليم هنري شكسبير : هو الضابط العسكري والدبلوماسي البريطاني ومن الشخصيات التي عرفت وارتبط اسمها بالعرب منذ بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م وكان ميلاده في البنجاب عام ١٨٧٨م بالهند حيث كان أبوه يعمل موظفاً في حكومة الهند البريطانية ، ثم عاد إلى إنجلترا وأكمل دراسته ، وفي عام ١٨٩٨م تخرج ضابطاً وظل يخدم في الجيش البريطاني حتى عام ١٩١٣م ، وكان في عام ١٩٠٤م قد عين مساعد ضابط سياسي وقصلاً في بندر عباس وبعد ذلك عين مساعد للمقيم السياسي في الخليج العربي وكذلك شغل منصب قنصل في مسقط ومساعد للقمي في حيدر آباد في عام ١٩٠٧م ثم عمل قنصل ومساعد للمقيم السياسي في الخليج العربي عام ١٩٠٨م ووكيلاً سياسياً في الكويت عام ١٩٠٩م .

ومن خلال أعماله في جزيرة العرب تعرف على الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود قبل الحرب العالمية الأولى وزاره أكثر من مرة ، وظل في الكويت حتى بداية عام ١٩١٤م ورجع بعد ذلك إلى بريطانيا وعند قيام الحرب الأولى طلب للخدمة مرة أخرى والذهاب إلى منطقة الخليج العربي بمهمة خاصة وعاجلة والاتصال بالملك عبدالعزيز آل سعود ، وخلال وجوه وقعت معركة (الجراب) بين ابن سعود وابن رشيد وقد أصر الكاتب شكسبير على حضورها على الرغم من الحاج ابن سعود بان لا يحضرها ، وقد قتل هذا الضابط البريطاني في تلك المعركة التي جرت بتاريخ ٢٤ يناير عام ١٩١٥م وقد ترك عدة تقارير كتبها خلال مقابلاته الأولى مع الملك عبدالعزيز آل سعود قبل الحرب وبعدها .

السرد برسي كوكس : كان ميلاده في عام ١٨٦٤م وتخرج من الكلية العسكرية وقد عمل في الهند والصومال ، ومن بعد شغل منصب المقيم السياسي والقنصل في مسقط سنة ١٨٩٩م ومن هنا كانت بداية علاقته والتي امتدت إلى سنوات طويلة في الخليج العربي والعراق كما عمل قنصلاً عاماً في بوشهر ، وكان على علاقة جيدة مع الشيخ خزعل حاكم الحمرة والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت ١٨٩٦-١٩١٥م وعبره تعرف على الملك عبدالعزيز آل سعود والذي أدرك أن سيكون له مكانة كبرى في جزيرة العرب وفي بداية عام ١٩١٤م شغل منصب سكرتير للشؤون الخارجية لحكومة الهند ورحل إلى العراق مع الحملة البريطانية بصفة ضابط سياسي وفي عام ١٩١٥م أرسل إلى طهران وزيراً مفوضاً وبعد ذلك تم تعيينه مندوب سامي في العراق بعد إعلان الانتداب بتاريخ ٢٤-أبريل ١٩٢٠م ، وأصبح شخصية بريطانية معروفة في الخليج العربي والعراق توفي في عام ١٩٢٧م .



نادوا أن الألمان هم الألمان والبريطانيون بريطانيون ولذلك يجدر بالعثمانيين أن يكونوا عثمانيين وأن يؤكفوا وجودهم المنفصل باسم مبدأ القومية . إن القدر القدر للأمرين كان الفهم العربي لهذا ولسائر التأثيرات الغريزية العربية يعتقد أنه أعلى من جميع الأجناس الأخرى والمال والأرشادات والمثل لأسرة الشريف حسين وجدت حليفاً غير متوقع في الدعاية التركية والمبدأ التركي الجديد والطوراني الجديد .

مهما يكن الأمر ، إن الشعور العربي في الحجاز يتراوى بين الوطنية التامة بين الشرفاء المثقفين إلى التعصب العرقي للجهال ، أمر واحد اقتنعت به العشائر هو أنها صنعت حكومة عربية ، ومنتجة ذلك أن كل عشيرة هي تلك الحكومة . إن المدن تتحصر على حالة الخمول العموق المطنن للحكومة العثمانية أو للهدوء المنتظم لكننا ، أما العشائر فتعلم أنها مستقلة وتريد أن تتمتع باستقلالها . إن هذا لايجلب الفوضى لأن الرابطة العائلية ونظام المسؤولية العشائرية ستتشدان ، لكنه عملياً يجلب غياب القوة المركزية في الشؤون الداخلية أو يفتيها وقد تكون للشريف سيادته السياسية في الخارج - سوف يملكها - مادام رجال العشائر يستطيعون ضمانها . لكن شؤونهم الداخلية يجب أن يحسمها شيوخهم العشائريون : هل تتولى دمشق حكم الحجاز ، أو نستطيع نحن أن نحكم الحجاز؟ قال أحد الشرفاء ، ومن الصعب القول أياً منها سيكون المشكلة الكبرى .

لكن لم يسمحوا لهذا الأمر أن يصبح محل التقدير لأن فكرتهم عن القومية هي استقلال العشائر والوائز الإقليمية وفكرتهم عن الوحدة القومية هي مقاومة عرضية مشتركة للعثني . إن السياسات البناء والدولة المنظمة والإمبراطورية الواسعة كلها غرائزهم .